

العقل والذكاء

فوائد من مصنفات العلامة ابن عثيمين رحمه الله

كتبه

فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين, نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد : فمن أكبر وأجل نعم الله عز وجل على
الإنسان بعد نعمة الإسلام والإيمان, نعمة العقل.

وقد أثنى الله عز وجل على العقلاء وأولي الألباب في مواضع من كتابه الكريم, ومن
جمع الله له العقل مع الإسلام, والذكاء مع الإيمان, فقد أوتي خيراً كثيراً.

والعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله له كلام عن العقل والذكاء, في
عددٍ من مصنفاته, جمعت ما يسر الله لي منه, أسأل الله الكريم أن ينفع به, ويبارك
فيه.

العقل

فضيلة العقل والثناء عليه

قال الله جل وعلا : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون] [البقرة : ٧٦] قال الشيخ رحمه الله : من فوائد الآية...الثناء على العقل والحكمة لأن قولهم : (أفلا تعقلون] توبيخ لهم على هذا الفعل.

وقال الله سبحانه وتعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [البقرة : ٢٦٩] قال الشيخ رحمه الله : من فوائد الآية : فضيلة العقل, لقوله تعالى : (وما يذكر إلا أولوا الألباب] لأن التذكر بلا شك يمد عليه الإنسان, فإذا كان لا يقع إلا من صاحب العقل دل ذلك على فضيلة العقل

وقال رحمه الله : العقل لا يحمل صاحبه إلا على السداد والصواب.

قال الله عز وجل : (ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون] [العنكبوت: ٣٥] قال الشيخ رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة : فائدة العقل, فإذا أُوتِيَ الإنسان عقلاً, فإن هذا من نعمة الله عليه.

الحثُّ على التعقل

وقال الله جل وعلا : (ومن نُعمِرُهُ نُكْسِه في الخلق أفلا يعقلون] [يس: ٦٨] قال الشيخ رحمه الله : من فوائد الآية الكريمة : الحث على التعقل والتفكير وحسن التصرف حتى يكون الإنسان من العقلاء.

العقل غزيرة ومكتسب

قال الشيخ رحمه الله: العقل غزيرة يخلقه الله عز وجل في الإنسان, ولكن مع ذلك يكون بالاكْتساب..وكم من إنسان ترقى في العقل حتى وصل إلى درجة لا يبلغها أقرانه بسبب ممارسته وتنمية عقله.

مكان العقل

قال الشيخ رحمه الله: القلب هو هذا الجزء المستقر في الصدر, لقول الله تعالى : { فَأَنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج:٤٦] وبهذا القلب يكون العقل, لقوله تعالى : (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) [الحج:٤٦] وبناء على هذه الأدلة يتبين أن العقل في القلب وليس في الدماغ, والعلماء اختلفوا قديماً وحديثاً, هل العقل في الدماغ, أو العقل في القلب ؟ والذي دلَّ عليه القرآن أنه في القلب, والقرآن كلام الخالق, والخالق عز وجل أعلم بما خلق, فالعقل بالقلب, لكن عقل القلب هو عقل التصرف والتدبير, ليس عقل الإدراك والتصوير, فإن عقل الإدراك والتصوير يكون في المخ, فالمخ يتصور ويعقل, وهو بمنزلة المترجم للقلب يشرح ما يريد رفعه إلى القلب, ثم يرفعه إلى القلب, ثم يصدر القلب الأوامر, والذي يبلغ الأوامر الدماغ, ولهذا تنشط العضلات كلها بنشاط الدماغ, فصارت المسألة سلسلة, والذي يتصور ويدرك وفيه عقل الإدراك هو الدماغ, وأما عقل التصرف والتدبير والرشاد والفساد فهو عقل القلب. وحينئذ يزول الإشكال, وتجتمع الأدلة الحسية والشرعية, فالعقل الإدراكي محله هو الدماغ, والعقل التصرفي الإرشادي الذي به الرشاد والفساد هو القلب.

تمام العقل

قال الشيخ رحمه الله : تمام العقل عند تمام الأربعين, [ولما بلغ أشده واستوى]
[القصص: ١٤] أي: كمل, قال العلماء : أي بلغ الأربعين, لأنه قبل الأربعين لم
ينضج النضج الكامل.

العقل: عقلاّن

قال الشيخ رحمه الله : العقل عقلاّن : عقل إدراك, وعقل تصرف, فعقل الإدراك
هو الذي يترتب عليه التكليف ويكون في المؤمن والكافر, والبر والفاجر, وأما عقل
التصرف فهو ما يحصل به الرشد, وهو حسن التصرف في أفعال الإنسان وأقواله
وهذا خاص بمن آتاه الله الحكمة, كما قال تعالى : { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذُكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [سورة البقرة: ٢٦٩]
وقال رحمه الله : عقل الإدراك مناط التكليف, وعقل الرشد مناط التصرف, يعني أن
عقل الرشد يكون به حسن التصرف من العاقل.. ولهذا يقال للرجل العاقل الذكي إذا
أساء في تصرفه, يقال : هذا مجنون, هذا غير عاقل مع أنه من حيث عقل الإدراك
عاقل.

لا ينتفع بالقرآن الكريم إلا أصحاب العقول

قال الله عز وجل: (وما يذكر إلا ألو الألباب] [آل عمران:٧]
قال الشيخ رحمه الله : أي : لا يتعظ وينتفع بالقرآن إلا أولو الألباب, أي : إلا
أصحاب العقول.. فلا يتذكر بهذا القرآن ولا بغيره إلا أصحاب العقول لقوله (وما
يذكر إلا ألو الألباب] وكلما ازداد الإنسان عقلاً ازداد تذكرًا بكلام الله عز وجل,
وكلما نقص تذكره بالقرآن دلّ على نقص عقله, لأنه إذا كان الله حصر التذكر بأولي
الألباب, فإنه يقتضي انتفاء هذا التذكر عمّن ليس عنده لبّ.

من خصال الإنسان العاقل

** من حملة القرآن الكريم العاملين به

عن ابن عباس رضي الله عنه, قال : قدم عينية بن حفن ابن حذيفة, فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس, وكان من نفر الذين يدينهم عمر, وكان القرء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً, قال الشيخ رحمه الله : كان أصحاب مجالس عمر هم القُراء, أي حملة القرآن لأنهم هم أصحاب العقل وأصحاب الهداية.

** يُكثِرُ من ذكر الله عز وجل

قال الشيخ رحمه الله : الإنسان العاقل الحازم المؤمن لا يزال يذكر الله سبحانه وتعالى, لأن في كل شيء من مخلوقاته آية تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى, وعلى حكمته.

** مُطِيع لله عز وجل

قال الله سبحانه وتعالى : { الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب } [الزمر: ١٨] قال الشيخ رحمه الله : أعقل الناس أطوعهم لله تعالى...ولهذا قال تعالى : { وأولئك هم أولوا الألباب }

** ينظر إلى نتائج عمله قبل الإقدام عليه

قال الشيخ رحمه الله : ينبغي للإنسان أن يكون عاقلاً, ما يخطو خطوة إلا وقد عرف أين يضع قدمه, ولا يتكلم إلا وينظر ما النتيجة من الكلام, ولا يفعل إلا وينظر ما النتيجة من الفعل, وقال رحمه : العاقل لا يتصرف إلا بما يراه مفيداً وحكمةً.

** يستخدم القياس

قال الشيخ رحمه الله : العاقل يقيس الغائب على الشاهد, والمستقبل على الحاضر ويتبين له الأمر.

** يعتني دائماً بقلبه

قال الشيخ رحمه الله : العاقل المؤمن هو الذي يكون دائماً في نظر إلى قلبه ومرضه وصحته وسلامته وعطبه... فمرض القلب أخطر من مرض البدن بكثير, والعاقل يعتني بهذا عناية أشدّ, وقال رحمه الله : الذي ينبغي للعاقل أن يهتم بتنعيم قلبه, ونعيم القلب الإنسان بالفطرة وهي التزام دين الله عز وجل.

**** لا يستمع إلى النمام ويحذر منه**

قال الشيخ رحمه الله : العاقل إذا نقل إليه أحد شيئاً عن شخص فإنه يستحضر آية من القرآن وتكفيته, وهي قوله عز وجل : [ولا تطع كلاً حلاف مهبين ~ هماز مشاء بنميم] [القلم: ١٠-١١]

**** يصبر على ما يصيبه**

قال الشيخ رحمه الله : قال بعض السلف: العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام, ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم. وقال رحمه الله: الذي ينبغي للإنسان العاقل أن لا يستخفنه أولئك القوم الذين لا يؤمنون بما وعد الله به الصابرين, ولا يهتمهم كلام الناس حتى يحقق الله له ما وعده. وقال رحمه الله: لا ينبغي للإنسان أن يكثر الشكاية, بل يصبر ويحتسب, ولا يكون كالمراة, كلما جاءه شيء جاء يشكو, هذا غلط, فالإنسان العاقل الرجل الحازم يتصبر.

**** يتأني ولا يستعجل**

قال الشيخ رحمه الله : كون الإنسان يتأني ولا يردُّ الشيء إلا بعد أن يتبين فيه الخطأ, لا شك أن هذا من العقل ومن الشرع.

**** يتجنب القهقهة**

قال الشيخ رحمه الله : الضحك ثلاثة أنواع: ابتدائي ووسط وانتهائي, الابتدائي التبسم, والوسط الضحك, والمنتهى القهقهة, والقهقهة لا تليق بالإنسان العاقل الرزين والتبسم هو أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام, والضحك يكون من الأنبياء أحياناً.

جلساء الإنسان ينبغي أن يكونوا من العقلاء

قال الشيخ رحمه الله : كان الحر بن قيس من أصحاب عمر رضي الله عنه, لأنه كان عاقلاً حليماً وذكياً... وهذا مما يدلُّ على أن عمر رضي الله عنه لا يختار مجالسه إلا العقلاء.

من لم ينتفع بعقله فوجوده كعدمه

قال الشيخ رحمه الله: الله تعالى قد ينفي الشيء لانقضاء ثمرته وفائدته, وهذا واقع في الكتاب والسنة.. قال الله تعالى في آيات كثيرة : (وأكثرهم لا يعقلون]... وهم عندهم علم, وعندهم عقل, ولكن لما لم ينتفعوا به, صار وجوده كعدمه

من قدم العقل على السمع فهو مشابه لإبليس متبع لخطواته

قال الشيخ رحمه الله : من قدم العقل على السمع فإنما هو متبع لخطوات الشيطان, لأن الشيطان قدَّم ما يدعي أنه عقل على السمع فأخطأ في ذلك, فهكذا كل من قدم العقل على السمع سواء في العلميات وهي علم العقائد, أو في العمليات فإنه مشابه لإبليس, متبع لخطواته.

لا ينبغي إهمال العقل في الاستدلال ولا ينبغي الاعتماد عليه وإهمال النص

قال الشيخ رحمه الله : لا ينبغي إهمال العقل في الاستدلال, كما لا ينبغي الاعتماد عليه وترك النص, فالناس في الاستدلال بالعقل طرفان ووسط, طرف غلا فيه حتى قدمه على السمع, وذلك بالنسبة للفقهاء من أصحاب الرأي والقياسيين الذين يعتمدون على الرأي وإن خالف النص... وفي باب العقائد جميع أهل البدع يعتمدون على العقل ويدعون السمع, مع أن العقل الذي يعتمدون عليه ليس إلا شبهات, وليس براهين ودلالات, لكنهم ينظرون أن العقل يقتضي كذا فيثبتونه, ويقتضي نفي كذا فينفونه, ولا يرجعون في هذا إلى السمع, ومن ذلك الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم, كل من نفي صفة أثبتها الله لنفسه بشبهة عقلية فإنه داخل فيمن يغالي في الاستدلال بالعقل.

الطرف الثاني : من أنكر الاعتماد على العقل بالكلية, وقال : ليس للعقل مدخل في إثبات أي حكم أو أي خبر, فأنكروا القياس, وهذا مثل أهل الظاهر, أنكروا نهائياً, وقالوا : لا يمكن أن نرجع للعقل في شيء.

ومن الناس من هم وسط : رجعوا إلى العقل فيما لا يخالف الشرع, لأن العقل إذا لم يخالف الشرع فإن الله تعالى يُحيل عليه في مسائل كثيرة, مثل :

[أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون] [البقرة: ٤٤] ومثل هذه الآية : (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون] واستدلال الله تعالى على إحياء الموتى بإحياء الأرض بعد موتها استدلال عقلي حسي, فهو حسي لأنه مشاهد, وهو عقلي لأنه يستدل به على نظيره الذي لا يخالفه تماماً,

وقال رحمه الله في [ثمت: ١٠١] : وأما المعتزلة.. فهم كما قال شيخ الإسلام رحمه الله من أعظم الناس كلاماً وجدلاً, لأنهم دائماً يرجعون إلى العقل, ولا يعبتون بالنصوص

إطلاقاً، حتى فيما لا تدركه العقول يحكمون العقل، والقاعدة عندهم في الصفات يقولون : إن ما أثبتته العقل فهو ثابت سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن موجوداً، وما نفاه العقل فهو منفي سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أم لا... وهم يجادلون في هذا جدالاً عظيماً.

العقل السليم والعقل الفاسد

قال رحمه الله : العقل السليم الذي ليس فيه شبهات وليس فيه شهوات، وأما العقل الذي استولت عليه الشُّبهات أو الشهوات فهذا عقل فاسد لا يحكم بشيء.
وقال رحمه الله : العقل الصريح هو الذي ليس فيه شبهة، ولا عنده إرادة سيئة... يعني أنه عقل مبني على علمٍ وعلى إرادة حسنة.

عقول المتكلمين مريضة

قال الشيخ رحمه الله : عقول المتكلمين الذين نحلوا من الفلاسفة، وحكموا عقولهم على الكتاب والسنة.. عقولهم.. مريضة، لأنها أوهام، ولأن العقل يقتضي أن يقبل ما جاء من أمور الغيب على ظاهره، أمر غيبي ليس لنا فيه دخل، ولا نستطيع أن ندركه فنرجع إلى الكتاب والسنة، ولا نتعدى هذا.

وهم يدعونه عقل

قال الشيخ رحمه الله : علم الكلام هو علم جدل فقط، يُريدون أن يحولوا العلم المبني على الكتاب والسنة إلى علم مبني على ما يدعونه عقلاً، ومع هذا فالذي يدعونه عقلاً هو في الحقيقة وهم، لا عقل.

المؤمن يؤمن بما أخبر الله أدركه عقله أم لم يدركه

قال رحمه الله الواجب على الإنسان أن يؤمن بما أخبر الله به سواء أدركه عقله أم لم يدركه ولو كان الإنسان لا يؤمن إلا بما أدركه عقله لم يكن مؤمناً حقاً فكل ما أخبر الله به يجب نؤمن به ولا نعترض... سواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه

لا يوجد في صريح المعقول ما يخالف صحيح المنقول

قال الشيخ رحمه الله لا يمكن أن يوجد في صريح المعقول ما يخالف صحيح المنقول هذه قاعدة خذها مضطردة، فإن وجدت ما ينافيه فاعلم أن الأمر لا يخلو من أحد أمرين ولا بد: إما أن عقلك ليس بصريح يعني فيه شبهات أوجبت إخفاء الحق عليك أو شهوات انطمس بها- نسأل الله العافية- وإما أن يكون النص غير صحيح يكون حديثاً ضعيفاً، أو مكذوباً على النبي صلى الله عليه وسلم أو ما أشبه ذلك، أما أن يكون عقل صريح سالم من الشبهات والشهوات ونقل صحيح فلا يمكن أن يتناقضا أبداً، وقال رحمه الله: وإذا شئت أن يتبين لكم هذا فاقروا كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - إن أطقتموه- المسمى بكتاب العقل والنقل أو موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وقال رحمه الله: الذي دمر هؤلاء وقوَّض عقولهم أنهم صاروا يعتمدون على العقل قبل أن ينظروا في النصوص، ولو أنهم نظروا في النصوص أولاً، ثم أجروها على العقل لعلموا علم اليقين أن النقل موافق للعقل.

العقل يُحسِّنُ وَيُقَبِّحُ لكنه لا يُوجِبُ ولا يُحرِّمُ

قال الشيخ رحمه الله: العقل يُحسِّنُ وَيُقَبِّحُ، لكنه لا يُوجِبُ ولا يُحرِّمُ، فالإيجاب والتحريم إلى الله، أما التحسين والتقبيح فيحسن ويقبح، لكن من الأشياء ما لا يعلم حسنه وقبحه إلا بطريق الشرع.

الدكاء

الاختلاف بين العقل والذكاء

قال الشيخ رحمه الله : الذكاء شيء, والعقل شيء آخر.
قال رحمه الله : العقل ليس هو الذكاء, لأن العقل نتيجته حسن التصرف وإن لم يكن الإنسان ذكياً... لهذا نقول ليس كل ذكي عاقلاً ولا كل عاقل ذكياً لكن قد يجتمعان وقد يرتفعان
وقال رحمه الله : العقل ليس هو الذكاء كما قد يتبادر بأذهان كثير من الناس, ولكن العقل هو " الرشد في التصرف " فكلما كان الإنسان أشد رشداً وتصرفاً كان أعقل, وليس كلما كان أذكى فهو أعقل, لأنه قد يكون من الأذكىاء من هو أبعد الناس عن العقل.

تعريف الذكاء

قال الشيخ رحمه الله : الذكاء هو سرعة إدراك الأمور وفهمها.
وقال رحمه الله : الذكاء قوة الفطنة.

الذكاء غزيري ومكتسب

قال الشيخ رحمه الله : الذكاء غزيري, ومكتسب, فأما الغريزي فالله تعالى يهبه من يشاء, وأما المكتسب فهو ما يحصل بفعل الإنسان وممارسته.

الذكاء إذا لم يقترن بالإيمان فقد يكون سبباً للضلال

قال الشيخ رحمه الله : لاحظ أنه أحياناً قد يكون الذكاء المُفْرط سبباً للضلال - والعياذ بالله- لأن الرجل الذكي يُورد على نفسه أشياء, ويفتح على نفسه أشياء مثل : لو كان كذا لكان كذا, ولو كان غافلاً عن هذا لكان أحسن له, ولهذا ما ضرَّ أصحاب الكلام والمنطق والفلسفة إلا حِدَّةُ ذكائهم.

وقال رحمه الله : وكم من ذكي قاده الذكاء إلى النار-والعياذ بالله- وهذا شيء مُشاهد, الذكاء إذا لم يكن مُقترناً بعقل وإيمان فالغالب أن صاحبه يُدمر ويهلك.

ذكي ولكنه ليس بعاقل

قال الشيخ رحمه الله: هرقل..أسلم, ولكنه كان ذكياً - والعياذ بالله - جمع بطارقته وتكلم معهم في الإسلام, فزجروا وغضبوا غضباً شديداً, حتى كادوا يقتلونه, فقال لهم: اسمعوا, لم أجمعكم لهذا, ولكن جمعتمكم لأنظر صلابتكم في دينكم, أعوذ بالله, ضنَّ بملكه, لأنه كان ذكياً, لكنه ليس بعاقل, فهو قد أتى ذكاءً ولكنه لم يعط زكاءً والعياذ بالله, نسأل الله أن يزكي نفوسنا ونفوسكم.

اختبار للذكاء

قال الشيخ رحمه الله : وهنا اختبار للذكاء : هل أمُّ إبراهيم عليه السلام مؤمنة أو غير مؤمنة ؟

والجواب: أنها مؤمنة, والدليل في قول الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) [إبراهيم : ٤١] فنهاه الله عن استغفاره لأبيه وسكت عن استغفاره لأُمَّه, إذن هي مؤمنة.

هل أبوا نُوحٍ عليه السلام أعني أمه وأباه هل هما مؤمنان أو كافران ؟

الجواب : مؤمنان, والدليل على أنهما مؤمنان قول نوح عليه السلام : (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات) [نوح:٢٨] مثل هذا الاستنباط يُحْتُ طالب العلم على تدبر القرآن, والعلم كلُّ العلم في القرآن الكريم, حتى ما بينته السنة من القرآن فهو من القرآن.
وقال الشيخ رحمه الله : لكن ما هي الوسائل التي تُنمِّي عند الإنسان ملكة الاستنباط ؟
الجواب : التكرار والتدبر.

أذكياء

حذيفة رضي الله عنه

قال رضي الله عنه, لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, ليلة الأحزاب, وقد أخذتنا ريح شديدة, وفرّ, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله عز وجل معي يوم القيامة) فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: (ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله عز وجل معي يوم القيامة) فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال: (قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم) فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم قال : (اذهب فأتني بخبر القوم ولا تدعهم عليّ) فلما وليت من عنده, جعلتُ كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار, فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه, فذكرتُ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولا تدعهم عليّ) ولو رميته لأصبته.. ثم صاح أبو سفيان : لينظر كل واحد منكم من جلسه ؟ فبادرتُ الذي بجاني وقلتُ له من أنت ؟ [أخرجه مسلم] قال الشيخ رحمه الله : قوله : ثم صاح أبو سفيان: لينظر كل واحد منكم من جلسه؟ يقول: فبادرت الذي بجاني وقلت له: من أنت؟ وهذا مما يدل على الذكاء

ابن عباس رضي الله عنهما

عن ابن عباس رضي الله عنهما, قال : بتُّ في بيت ميمونة ليلة, والنبي صلى الله عليه وسلم عندها, لأنظر كيف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل... الحديث, قال الشيخ رحمه الله : كان ابن عباس رضي الله عنهم ذكياً عاقلاً حريصاً على العلم.

الحُرُّ بن قيس

عن ابن عباس رضي الله عنه, قال : قدم عينية بن حفن ابن حذيفة, فنزل على ابن أخيه الحُرُّ بن قيس, وكان من نفر الذين يدينهم عمر... فقال عينية لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير. فتستأذن لي عليه؟ قال : سأستأذن لك عليه, قال ابن عباس : فاستأذن لعينية, فلما دخل قال: يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل! وما تحكم بيننا بالعدل! فغضب عمر حتى همَّ أن يقع به, فقال الحُرُّ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض الجاهلين [وإن هذا من الجاهلين, فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه, كان وقافاً عند كتاب الله.

قال الشيخ رحمه الله : وأما قوله " وما تحكم بيننا بالعدل " فقد كذب فإن عمر رضي الله عنه, مضرب المثل في العدل, وهو من أعدل الخلفاء رضي الله عنه, ولهذا حين غضب همَّ أن يقع به, ولكن ابن أخي عينية كان ذكياً حليماً, فقال : إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض الجاهلين [

عائشة بنت أبي بكر الصديق, رضي الله عنهما

قالت في حادثة الإفك : فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي, فإذا عقد... لي قد انقطع, فالتمسْتُ عقدي, وحبسي ابتغاؤه, وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي, فاحتملوا هودجي, فرحلوه على بعيري, الذي كنت ركبْتُ, وهو يحسبون أني فيه, وكانت النساء إذ ذاك خفافاً, لم يثقلهن اللحم, إنما تأكل العلقة من الطعام, فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه, وكنت جارية حديثة السن, فبعثوا الجمل, وساروا, فوجدتُ عقدي بعدما استمر الجيش, فجئت منازلهم, وليس بها داع أو مجيب, فأمت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي [متفق عليه] قال الشيخ رحمه الله: في هذه الجملة من الحديث فوائد منها : ذكاء عائشة رضي الله عنها وعقلها, لأنها لما جاءت وفقدت القوم, ما ذهبت تطلبهم هنا وهناك, مع أنه قد يبدو للإنسان أن الأحسن أن تلحقهم وتطلبهم, ولكنها رضي الله عنها جلست في مكانها, وعرفت أنهم سيفقدونها قطعاً, وإذا فقدوها فسيرجعون على إثرهم حتى يصلوا إلى مكانها, وهذا من فقهها وعقلها وذكائها رضي الله عنها.

وعندما تكلم المنافقون في عرضها رضي الله عنها في حادثة الإفك, وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا, فإن كنت بريئة فسيبرئك الله, وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله, وتوبي إليه, فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله, تاب الله عليه) قالت : قلت لأبي أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال الشيخ رحمه الله : من فوائد الحديث : ذكاء عائشة رضي الله عنها, لأنها طلبت من أبيها أن يجيب الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهي بالغة الذكاء - مع كونها حديثة السن, ولا تقرأ شيئاً من القرآن.

أم سلمه رضي الله عنها

عنها رضي الله عنها أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين, سألوها عن صلاة الركعتين بعد العصر, فقالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما, وإنه صلى العصر, ثم دخل علي, وعندني نسوة من بني حرام من الأنصار فصلاهما, فأرسلت إليه الخادم, فقلت : قومي إلى جنبه, فقولي : تقول أم سلمة : يا رسول الله ! ألم أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين, فأراك تُصليهما ؟ ! فإن أشار بيده فاستأخري, ففعلت الجارية, فأشار بيده, فاستأخرت عنه, فلما انصرف قال : (يا بنت أبي أمية ! سألت عن الركعتين بعد العصر, إنه أتاني أناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم, فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر, فهما هاتان. [أخرجه البخاري] قال الشيخ رحمه الله : في الحديث من الفوائد : ذكاء أم سلمة رضي الله عنها, وهو ليس غريباً عنها, حيث قالت للجارية : فإن أشار بيده فاستأخري, لأن الجارية قد لا تفهم ولا تعلم بهذا الأمر, فلعله يشير لها وتلحُّ عليه, لكن لما أرشدتها بقولها : فإن أشار بيده فاستأخري, كان هذا من ذكائها رضي الله عنها.

أم الفضل أم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما

عنها رضي الله عنها, أن ناساً تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال بعضهم : هو صائم, وقال بعضهم : ليس بصائم, فأرسلت إليه بقدر لبن وهو واقف على بعيره بعرفة فشربه. [متفق عليه]

قال الشيخ رحمه الله : وهذا من ذكائها رضي الله عنها أنها أرسلت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا, لأنه لو سُئل وأجاب فمن سامع ومن غير سامع, لكن إذا كان على بعير وهو واقف, وشرب, والناس ينظرون, صار هذا أبلغ, ثم إن الشيء إذا رُئي مكث في الذهن أكثر مما إذا سمع.

أم سليم رضي الله عنها

عن أنس رضي الله عنه, قال : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعتُ صوت النبي صلى الله عليه وسلم, ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ فأخرجت أقراصاً من شعير, ثم أخرجت خميراً لها, فلفت الخبز ببعضه, ثم دسته تحت ثوبي, وردتني ببعضه, ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذهبتُ به, فوجدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد, ومعه الناس, فقمْتُ عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أرسلك أبو طلحة ؟) فقلتُ نعم, قال (بطعام ؟) فقلت : نعم, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه : (قوموا) فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة, فقال أبو طلحة : يا أم سليم ! قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس, وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم, فقالت : الله ورسوله أعلم. [متفق عليه] قال الشيخ رحمه الله : في هذا الحديث فوائد, منها : ذكاء أم سليم رضي الله عنها, لأن النبي عليه الصلاة والسلام لما جاء بالناس, وقال أبو طلحة رضي الله عنه : جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالناس, قالت : الله ورسوله أعلم, وذلك لأن الرسول عليه الصلاة والسلام سأل أنساً رضي الله عنه من قبل : ما الذي عندكم ؟ قال : عندنا كذا وكذا, فدعا الناس, فعُلِمَ بهذا أنه سوف يكفي الناس, وهذا هو الذي حصل.

امرأة جابر رضي الله عنهما

دعا جابر رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الخندق إلى طعام صنعته زوجته رضي الله عنها, وقال للرسول: فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان, قال: (كم هو) فذكرت له, قال: (كثير طيب... قُل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي, فقال : قوموا) فقاموا المهاجرون والأنصار, فدخل جابر على امرأته وقال: ويحك! جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم, قالت: هل سألك؟ قُلْتُ: نعم.

قال الشيخ رحمه الله : وفي الحديث من الفوائد ذكاء امرأة جابر رضي الله عنها, حين قال لها: " ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار " فقالت: " هل سألك؟" يعني: فإن كان سألك فإنه أعلم, ما جاء بهم إلا والطعام سيكفيهم, أما لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم لكانت مشكلة.

ابنة شعيب التي دعت موسى عليهما السلام

قال الله عز وجل : [فجاءته إحداهما تمشي على استحياءٍ قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا] [القصص: ٢٥] :

قال الشيخ رحمه الله : من فوائد الآية الكريمة: فيها دليل على ذكاء الفتاة, فهي لم تقل: إن أبي يدعوك من أجل أن يوجه إليه التهمة مثلاً, أو من أجل أن يغدر به, أو يطلبه, أو ما أشبه ذلك, لكنها قالت : [ليجزيك أجر ما سقيت لنا] وليكون ذلك أدعى إلى إجابة الدعوة

قال الله عز وجل : [قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون] [النمل: ٣٢] قال الشيخ رحمه الله : هذا من كمال ذكائها أنها أشارت الملأ حتى إذا نتج عن تصرفها شيء لا يُرضي يكون اللوم على هؤلاء الملأ الذين أشاروا, ولا يجعلون اللوم عليها.

طائر اللقلق

قال الشيخ رحمه الله : طائر يوصف بالذكاء والفتنة يأكل الحيات

نملة

قال الله عز وجل : (حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمانٌ وجنوده وهم لا يشعرون] [النمل: ١٨] قال الشيخ رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة... فصاحة هذه النملة ونصحها وذكاؤها, لأن الكلام الذي قالته يتضمن هذا كله...ومن كمال ذكائها : أنها استعملت العبارات المثيرة للزعجة في قولها : (لا يحطمنكم سليمانٌ وجنوده] وقال رحمه الله : النمل من أذكي الحشرات.

كتب الشيخ التي تم الرجوع إليها

* تفسير سورة البقرة

* تفسير سورة آل عمران

* تفسير سورة المائدة

* تفسير سورة الأنعام

* تفسير سورة النور

* تفسير سورة الفرقان

* تفسير سورة النمل

- * تفسير سورة القصص
 - * تفسير سورة العنكبوت
 - * تفسير سورة الروم
 - * تفسير سورة لقمان
 - * تفسير سورة الأحزاب
 - * تفسير سورة يس
 - * تفسير سورة الصفات
 - * تفسير سورة الزمر
 - * أحكام من القرآن الكريم
 - * شرح مقدمة التفسير
 - * التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن
 - * التعليق على صحيح البخاري
 - * التعليق على صحيح مسلم
 - * شرح رياض الصالحين
 - * شرح العقيدة التدمرية
 - * التعليق على الروض المربع
 - * التعليق على القواعد النورانية
 - * شرح مختصر التحرير
 - * دروس وفتاوى من الحرمين الشريفين
- كتبه / فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويخ